

الحلقة السابعة

سلسلة رمز وحقيقة

برنامج أنوار كاشفة

إبراهيم أباً لجمهور من الأمم

نتابع في هذا اللقاء دراستنا لأحداث سفر التكوين ، الذي هو أول أسفار الكتاب المقدس ، لنكتشف ما تشير إليه من معان ورموز . ولنعرف المزيد عن خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان .

وكنا قد بدأنا في اللقاءين السابقين بدراسة سيرة إبراهيم أبي المؤمنين . فتبين لنا كيف كان الإيمان هو الميزة الأساسية التي تميزت بها مسيرة حياته كلها . وأنا نحن اليوم بحاجة إلى نفس نوعية إيمان إبراهيم .

وتحدثنا عن وعد الله المجيد لإبراهيم أنه في نسله ستتبارك جميع أمم الأرض . واتضح لنا أن النسل المقصود بهذا الوعد ، هو شخص المخلص يسوع المسيح ، الذي تباركت فعلا بمجيئه وخلصه كل شعوب الأرض .

نتابع دراستنا لسيرة إبراهيم الخليل ، حيث نتأمل بعهد الله معه . نقرأ أولاً ما سجله لنا الوحي المقدس في سفر التكوين عن هذا العهد التاريخي الهام . فقد ظهر الله لأبرام الذي هو إبراهيم ، وتكلم معه قائلاً : " أما أنا فهوذا عهدي معك ، وتكون أباً لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم . لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم . وأثرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون . " (تكوين ١٧: ٤-٦)

حقاً إنه عهد غريب من نوعه . فأبرام وقد بلغ التاسعة والتسعين من عمره . وكانت امرأته سارة في التاسعة والثمانين ، ولم ينجبا ولداً حتى ذلك العمر ، يقيم الله معه عهداً . فما هو هذا العهد ؟

إن هذا العهد هو أن أبرام سيصبح أباً لجمهور من الأمم . وتأكيداً على ذلك أبدل الله اسم أبرام ، ويعني الأب المكرم ، إلى إبراهيم أي أبي جمهور كثير . فكيف سيصبح يا ترى إبراهيم أباً لجمهور من الأمم ؟ لا نستطيع إدراك المعنى الحقيقي لهذا العهد ، إلا إذا عدنا إلى وعد الله لإبراهيم أنه تتبارك في نسلك جميع أمم الأرض . وكما لاحظنا فإن هذا الوعد قد تحقق في شخص المخلص المسيح، الذي هو نسل إبراهيم الموعود . وكان ذلك عن طريق موت المخلص المسيح الكفاري على الصليب ، وقيامته المجيدة من بين الأموات . فموته وقيامته أتم المسيح عملية خلاص الإنسان ، وفتح الباب واسعا لكي تعم البركة ، أي خلاص الله كل الأمم .

وكنا لاحظنا أيضا في لقاء سابق ، أن الإيمان كان ميزة سيرة إبراهيم في مراحلها المختلفة . وتبين لنا أننا نحن اليوم بحاجة إلى نفس نوعية إيمان إبراهيم . وأن إيماننا يجب أن يرتكز على المخلص المسيح لكي نضمن البركة .

من الواضح إذن أن جمهور الأمم الذين قصدهم الله في وعده لإبراهيم أنه سيكون أبا لهم ، هم المؤمنون بالمخلص المسيح من كل الأمم . ولهذا كتب الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في رومية قائلا : " وأخذ - أي إبراهيم - علامة الختان ختما لبر الإيمان الذي كان في الغرلة ، ليكون أبا لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يحسب لهم أيضا البر . " ثم أضاف الرسول بولس قائلا في نفس الأصحاح: " كما هو مكتوب إنني قد جعلتك أبا للأمم كثيرة . " (الرسالة إلى رومية ١٧:٤، ١١)

إن المقصود بعلامة الختان هو التطهير في الجسد . فلقد طلب الله من إبراهيم أن يختتن ، تأكيدا له أنه قبل إيمانه ، وجعله باراً . أي أن إبراهيم آمن عندما كان في وضع الغرلة ، أي في حالة عدم التطهير ، كالأمم تماما . ولهذا يحق لإبراهيم كما كتب الرسول بولس ، أن يكون أبا لجميع الذين يؤمنون في المخلص المسيح من الأمم، وهم في وضع الغرلة . وبذلك تحقق عهد الله مع إبراهيم إذ جعله أبا للأمم كثيرة .

أجل لقد تحقق عهد الله مع إبراهيم ، عندما أتى المخلص يسوع المسيح . إذ دشن المسيح بموته الكفاري وقيامته الظاهرة عهدا جديدا بين الله والإنسان . وهكذا فُتح الباب على مصراعيه لكي تشمل بركة الله كل من يؤمن . ولم يعد خلاص الله أو بركته مقتصرة إذن على شعب أو نسل إبراهيم بالجسد المختونين ، أي اليهود . وهم أصحاب الشريعة التي أنزلها الله على كليمه النبي موسى ، بل تعداهم ليشمل شعوب الأرض كلها .

ولنلاحظ يا صديقي أنه منذ صعود الفادي يسوع المسيح إلى السماء ، وخلال أجيال التاريخ المتعاقبة وحتى اليوم ، آمنت جماهير غفيرة من مختلف شعوب الأرض ، بشخص المخلص المسيح . وهكذا شملتهم بركة الله الموعودة لإبراهيم ، وصار هو أبا لهم بالإيمان . وبذلك تحقق عهد الله مع إبراهيم أنه سيكون أبا لجمهور من الأمم . ودعي إبراهيم بحق بأبي المؤمنين .

هنا قد يبرز أماننا سؤال آخر : هل نستطيع اعتبار كل الذين آمنوا بالمخلص يسوع المسيح أولادا لإبراهيم ؟

للجواب عن هذا السؤال نقول : نعم بالتأكيد . ولقد أكد لنا هذه الحقيقة الرسول بولس ، إذ كتب في رسالته إلى المؤمنين في مدينة غلاطية قائلا : " إعلموا إذن أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم ، والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم ، سبق فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم . إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن . " (غلاطية ٣:٧-٩)

إذن إن كل من يؤمن بالمخلص المسيح ، يصبح من أولاد إبراهيم ، وينال بركة الله الموعودة فيه . تلك هي خطة الله منذ البدء ، أنه يريد إنقاذ الإنسان في كل مكان وزمان ، عن طريق الإيمان بالمخلص يسوع المسيح . وتابع الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في غلاطية فكتب قائلاً : " لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع .. ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبد ولا حر ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع . فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة . " (غلاطية ٣: ٢٦-٢٩) إن المؤمنين في المسيح إذن من مختلف الشعوب والطبقات والفئات ، هم نسل إبراهيم ، ويرثون كل مواعيد الله له . لاسيما وعد الله له بالمدينة السماوية ، أي الخلود في دار النعيم .

ولنلاحظ هنا أنه لم يعد هناك فرق في المسيحية بين يهودي وأممي ، أو حر وعبد ، أو ذكر وأنثى ، إذ الجميع واحد في المسيح يسوع ، وجميعهم أولاد الله، وبالتالي من نسل إبراهيم . وهكذا زال الحاجز الذي كان يفصل بين اليهود من جهة ، والأمم من ناحية أخرى . وصار كل المؤمنين في المسيح من شعب الله الواحد ، الذين لهم كل بركات الله ومواعيده .

ومن جهة ثانية إن اليهود الذين لا يؤمنون بالمخلص المسيح ، لا يعتبرون من نسل إبراهيم ، ولا من أولاد الله. ولهذا كتب الرسول بولس إلى المؤمنين في رومية قائلاً : " لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد . بل باسحق يدعى لك نس . أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً . " (رومية ٩: ٦-٨) إذن إن كون الشخص يهودياً لا يعني البتة أنه من نسل إبراهيم أو أنه من أولاد الله . إذ عليه أن يؤمن بالمخلص المسيح لكي يصبح إبراهيم أباه ، وليغدو من أولاد الله وشعبه .

ولهذا قال المخلص المسيح لليهود الذين ادّعوا أنهم أولاد إبراهيم : " لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . " (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا ٨: ٣٩) يبدو واضحاً هنا أن الإيمان بالمخلص المسيح هو الذي يجعل الإنسان ، ومن أي شعب كان ، ابناً لإبراهيم ومن أولاد الله . بينما الولادة في عائلة يهودية ، أي من نسل إبراهيم بحسب الجسد لا يعني شيئاً أمام الله .

ألا تود صديقي أن تصبح من أولاد الله وأن يغدو إبراهيم أبي المؤمنين أباً لك ؟ تعال إذن بتوبة صادقة ، وإيمان قلبي راسخ ، بشخص المخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك . وعندها لا بد أن تتال الغفران عن ذنوبك ونعمة الخلاص الكامل ، والبركات الإلهية العظمى ، وتحظى بالخلود في دار النعيم . فهل هناك أعظم وأجمل من هذه العطية ؟